المعالم الرسالية في فكر الإمام الحسين(ع)
مقاربه قرآنية تفسيرية

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أما بعد.. إنّ الأمة الإسلامية في هذه الآونة إنْ كانت فقدت التقدم التقني، فإنّها تملك المنهجَ الربانيَّ الأقومَ المتمثل بنصوص القرآن المجيد، الذي يعيد لها مكان الصدارة والريادة، ومحور ارتكاز الشهود الحضاري ينبثق من الأخلاق، ونتائج ذلك لا تأتي في يوم وليلة، بل تحتاج إلى مجاهدة وصبر والتزام حقيقي.

وقد اتضح أن السبب الحقيقي وراء تخلف الأمة هو عدم الالتزام بالقيم الإسلامية التي جاءت بها السماء، وقد أكدت الكثير من الدراسات النظرية والميدانية والتي أجمعت على وجود خلل في منظومة البناء ألقيمي نتيجة العزوف عن إرشادات القرآن الكريم ومنهجه القويم، واللهث وراء القيم الغريبة عن منظومتها القيمية؛ وإن (الكثير من المسلمين بعد أن نسوا دينهم وهجروا قرآنهم، صاروا يقلدون غيرهم ويستوردون عقائد ومبادئ متطرفة وبعيدة عن منهجنا الإسلامي)(١).

والإمام الحسين(ع) مصباح الإنسانية الباهرة الذي أضاء بالنور في ليل من لياليها الحالكة، ليصنع لها نهارها المشرق الوضّاح، وما ذاك إلا لارتباطه الوثيق بالمصدر الإلهي وينبوع الحياة القرآن المجيد، ولهذا كان هذا البحث في بيان ذلك التأثر العظيم في نهج الإمام(ع)، والأثر البالغ للقرآن العظيم فيه، وليكون في ذلك دلالة دامغة على الترابط والكينونة الواحدة بين الثقلين العظيمين: (القرآن الكريم والعترة المطهرة)(٢).

وقد كان من أسباب اختيار البحث تسليط الضوء على المعالم الرسالية التربوية التي جسدها الإمام الحسين(ع) في فكره الشريف، والتي كانت بارزة في خطابه، وبيان أثر روح النصوص القرآنية فيه.

وكذلك لما بدا من ضعف في الاهتمام بالتراث القرآني وما يحويه من فكر تربوي بنّاء، فلم يلحظ الباحث عناية كافية وإقبالاً واضحاً على منهجتها وتنظيمها بنماذج محددة مرتبطة بعِدل القرآن العظيم، لهذا وغيره كان التوجه صوب هذا البحث.

وأما أهمية البحث فتكمن في الوقوف على تجليات هذه المعالم التربوية والارتواء منها لما يصيب مجتمعاتنا الإنسانية اليوم من تجرد واضح عن كثير من القيم، ومن ثم أصبحت

خاوية، فكانت الحاجة الماسة إلى هذا البحث – بحسب اعتقاد الباحث – لما يلتمسه فيه من بارقة أمل وضياء ينتفع منه من ألقى السمع وهو شهيد فالقرآن المجيد: ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، والحسين الشهيد: (مصباح الهدى وسفينة النجاة)[٤].

وكذلك تكمن أهمية البحث أيضاً في بناء الشخصية المتوازنة التي تجمع بين مكونات التربية الإسلامية، وتوازن بين الأصول، والقوانين الثابتة لهذه التربية وبين ما أنتجته المعاصرة والحداثة مما تسبب باختلال حركة الأمة، وإنحرافها نحو تيارات الفكر التربوي الغربي وتقليده ونسيان الذات، مما طبع تربيتها بالجفاف الروحي وطبع مجتمعنا بالتمزق الداخلي والاضطراب الخُلقي والتبعية الفكرية، مما أدى إلى تغريب الإنسان المسلم وتشويه فكره وروحه.

وقد كان منهج البحث الذي اعتمده الباحث هو المنهج التحليلي، مضافاً إليه سائر المناهج البحثية بحسب ما يقتضيه مقام البحث، مع التعويل في فهم نصوص القرآن الكريم وتوجيهها على المصادر التفسيرية وذلك التزاماً بعنوان البحث.

أما خطة البحث فكانت من مقدمة ومطلبين، الأول منهما كان عن نصوص في القرآن الكريم توضح منهج القرآن الكريم في البناء التربوي، والذي كان بعنوان: الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين (ع).

والمطلب الثاني فقد كان عن المعالم التربوية الرسالية في خطب الإمام الحسين(ع)، وهو بعنوان: الأثر القرآني في الخطاب الرسالي للإمام الحسين(ع)، متلوات بخاتمة وقائمة بالمصادر، وعلى النحو التالي:

المطلب الأول: الأثر القرآني في بناء الفكر التربوي للإمام الحسين (ع)

تساهم التربية مساهمةً فعّالةً في تخطيط، وتشكيل، وصنع شخصية الفرد، وتحديد صيغتها، فشخصيّة الفرد – في غالب الأحيان – هي نتاج صنع المربّي وصورة جهوده..

فالاستعدادات والقابليات الإنسانية تولد وهي طاقة حرّة غير متكيّفة، ولا متشكلة، فتتناولها يد المربّي، أباً كان أو أُماً أو معلّماً – فتتصرّف بها وتعمل على تشكيلها، وتخطيط بنيتها، وفق قيم وأهداف تربوية فكرية محدّدة، لذلك نشاهد الدول والأحزاب والمنظمات تحرص على توجيه وتربية الأفراد والجماعات تربية خاصّة ووفق منهج خاص.

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل (ع) كلّها للبناء الفكري التربوي، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات لشخصية الإنسان.

إذ ما علمنا إن التربية هي (النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسياً وجمالياً وخلقياً، وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات

اللآزمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام)[٥].

ونصوص القرآن الكريم حافلة بهذا النهج البنائي للإنسان، وهو ما سوف نلحظه من دور مميز في تكوين الشخصية المتزنة – وخصوصاً أثر الأسرة القرآنية في بناء الإنسان وفي شخصية الإمام الحسين (ع) وفكره الرسالي[٦] – وهو محل البحث، ومن ذلك نلحظ إن العناية القرآنية في بناء الإنسان تبدأ منذ مرحلة الطفولة داخل الأسرة، فهذه المرحلة التي فيها تشكيل الذات والشخصية[٧].

لذلك جاء تأكيد القرآن المجيد صريحاً للعناية بتربية النفس والأهل والأبناء، بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[٨]، وذلك أن (المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه)[٩]، إذ إن البيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة، ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، والآية المباركة تربي الإنسان المؤمن على (أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، واجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً)[١٠].

وتترجم السنة النبوّية هذا المحتوى القرآني، وتؤكد أنّ التربية الصالحة حق للولد على الوالد، فقد رُوي عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) أنه قال: (جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: يارسول الله! ما حقّ ابني هذا؟ قال (ص): تحسن اسمه وأدبه ، وضعه موضعاً حسناً)[١١].

ولقد كان رسول الله (ص) يوصي بحبّ الصبيان وتقبيلهم ومداعبتهم، وكان هو نفسه يقبل ابنته فاطمة (ع)، وابنيها الحسن والحسين (ع)، ويداعبهما ليملأ نفس الصبي بالحب والحنان، ويبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور، فيشب الصبي سليم النفس، سوي السلوك، نظيف القلب.

فشخصية الإنسان تبدأ التشكُّل من خلال التأثر بالواقع الأسري، والجو الفكري والتربوي الذي يحيط به، والإمام الحسين(ع) عاش في كنف مُعلم الإنسانية الأول الرسول الأكرم(ص)، وقد أولاه عنايته الخاصة ورعايته منذ صغره، فكان أن نهج الإمام(ع) في فكره وسلوكه نهج رسول الله(ص) وسلوكه القرآني.

وذلك أن النبي الأكرم (ص) يؤكد في حديث آخر أهمية التربية ودورها في البناء الفكري وفي تكييف الملكات والاستعدادات الفطرية، وأثرها في بناء الشخصية بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه، يُهوّدانه، أو ينّصرانه، أو يُمجِّسانه)[١٢].

ولأهمية هذه النشأة وأثرها في نفس الطفل داخل الأسرة، ما نلحظه في وصية الإمام علي (ع) لابنه الحسن (ع)، فنشاهده واضحاً ومتجسداً وهو يخاطب ابنه بقوله: (... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شئ

قبلته، فبادرتُك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك)[13].

فنفس الطفل وعقله واستعداداته إذن قابلة للنمو والتوجيه الذي تتلقاه، خيراً كان أو شراً، كما تتقبل الأرض البذرة، فتنمو في رحابها، بغض النظر عن خبثها أو طيبتها، ومن المعلوم بداهة دور القرآن المجيد في بناء فكر الإنسان، ومن ذلك الإمام الحسين (ع) إذ كانت التربية الأسرية القرآنية ذات أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسانية، وتكوين اتجاهها.

كما ونلحظ أثر القرآن المجيد على المجتمع من خلال ذلك البناء، القيمي الذي يُنمي في الإنسان الفرد إيقاظ الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وذلك من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره، قال تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)[14]، فالإنسان مسؤول عمّا كان تحت تصرفه وكان قادراً على إحداث تغيير فيه ونفع فـ(في ذلك اليوم يتمّ السؤال عن كل شئ، عن العقائد وعن التوحيد والولاية، وعن الحديث والعمل، وعن النعم والمواهب التي وضعها الله سبحانه وتعالى في إختيار الإنسان)[15]، وكيف كان موقفه اتجاهها ومن ذلك موقف الإنسان اتجاه الآخرين وهدايتهم إلى سواء السبيل.

ومن ذلك ما نلحظه في السنة الشريفة، قول الرسول الأكرم (ص): (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..)[16]، ويقول أمير المؤمنين علي (ع): (اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)[17].

والإمام الحسين (ع) وهو ابن الدوحة المحمدية والنشأة القرآنية، كان واضحاً فيه الأثر القرآني وهو عِدْل القرآن، فكان في خروجه على النظام الحاكم، جزءاً من مسؤوليته في الإصلاح، الإصلاح الذي (يجعل الله تعالى مصدراً للسلطة الوحيدة في جهاز ذلك الحكم، ويعتبر الشعوب عياله وشعبه ويقيم الإمام أميناً على تنفيذ قوانينه، وحارساً لأحكامه ومسؤولاً بين يديه، يوزع على ضوء تلك القوانين حقوق الحياة السواء بين إخوان في الدين والإنسانية، وقد أعطى سيد الشهداء (ع) صورة رائعة عن ذلك في قوله: (فلَعَمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك)[18])[19].

وكنظرة مقارنة، نجد أن المذاهب الاجتماعية الوضعية، بُنيت على أساس المسؤولية الفردية في هذه الحياة فحسب، وتأييدها بمؤيدات قانونية كحجز الحرية، أو التعذيب، أو التغريم المالي أو العزل عن الوظيفة، أو التسريح عن العمل، أو المكافأة بالمال أو الترقية في الوظيفة.. وما إلى ذلك، وبمؤيدات اجتماعية كالثقة أو حجبها والتقدير أو التحقير.

أما المذهب القرآني، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه في هذه الحياة، وإنما يُنمّي في الفرد المسؤولية العظمى أمام الخالق العظيم في حياة

أخرى، وحينئذ يدفعه إلى التحديد الذاتي أو الطوعي لرغباته، والشعور الاجتماعي نحو غيره، بغض النظر عن القانون أو العرف أو الضمير، لأن الضمير قد يعجز عن مواجهة الغرائز عند فقدان العقيدة الدينية، كما أنه ليس من الميسور توفير الرقابة الاجتماعية في كلّ مكان، وبصورة دائمة، وعليه فإنّ هذه الرقابة الداخلية لا توجد في غير العقيدة الدينية.

كما أن الدعوة لدين الله ليست حرفة ولا مهنة، وإنما يقوم بها من يرى نفسه أهلاً لها لوجه الله وحده.. ولمصلحة الإنسانية دون غيرها.

وكذلك كانت آثار العقيدة الدينية في فكر الإمام الحسين(ع)، يقول المفكر عباس محمود العقاد: (إن مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنّه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشدّ الاعتقاد أنّ تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالأمة العربية قاطبة في حاضرها ومصيرها، لأنه مسلم، ولأنه سبط محمد.. فمن كان إسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت)[٢٠].

وقد تجلى مفهوم الرقابة الذاتية في فكر الإمام الحسين (ع) واضحاً في دعائه المعروف في يوم عرفة، إذ قال: (متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبا)[٢١]، وواضح أن هذه الرقابة لا يمكن أن تتحقق في غير الأثر القرآني، وليس من شأن القيم والمفاهيم المجردة الميتة التي يؤمن بها الإنسان أن تعي تصرفات الناس، وتراقب حركاتهم وتصرفاتهم، وتحاسبهم على ذلك.

إذن تعمل القيم القرآنية على بناء حياة الإنسان من خلال تقديم الخير وبذل التضحية، ومقاومة الانحراف لأنها ربانية المصدر، والإيمان بها يستلزم العمل بها لأنها ضوابط وحوافز بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان[٢٢]، ولا شك أن القيم المستمدة من الأديان السماوية تعتبر السبيل إلى توجيه الإنسان إلى الخير العام.

والقيم القرآنية تسمو بالفرد وترفعه فوق الماديات الحسية من مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة بكل ما فيها من مثل ومبادئ ومعايير ومشاركة وجدانية، وهي في الوقت نفسه تعتبر عاملاً هاماً وفعالاً في ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وتوحيد وجهتهم، ومساعدتهم على تحديد هدفهم، والسعي الجاد للوصول إليه، هذه حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة هذه القيم والمعاني الكبيرة التي تحملها، وهي واضحة في كثير من النصوص القرآنية ولا يمكن تحقيق السعادة من دون اتخاذ هذه القيم طريقة ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً[٢٣].

فبالتأثر بهذه القيم القرآنية يكون بناء (الروح الرائعة التي لا يدخل شئ من أشياء هذا العالم المحدود في حسابها، ولا ترى بعد الظفر بالجانب

الإلهي جانباً آخر يخشى فواته، أو يؤمل إدراكه، لأن المحدود ليس إلا لمعة لذلك الوجود غير المحدود)[٢٤].

إذن التربية الإسلامية وبنظرة موضوعية في مناهجها وموضوعاتها الإلهية والبشرية (تحقق جانبي القيمة الظاهرية، والباطنية، فهي تعنى بسلوك الفرد مع نفسه ومع الناس، وتحثه على أداء العبادات، وعلى طهارة القلب والنفس والجوارح وتمنحه الوازع الذي يدفعه إلى التضحية والفداء والصبر، وتقترب به في مثاليتها إلى جوانب الحق والخير والجمال، وتصل به في بعض مواقفها إلى سمو يرفعه فوق ترابيته، ويدنيه من عالم الروح، فهي إذن تربية تنشد الوصول إلى الخلق الكامل عند الفرد المسلم وتساعده بهذا البناء الخلقي على الاهتمام بالجسم والعقل والعمل)[٢٥].

والتربية الإسلامية نمط خاص من التربية يتعهد المسلم بتغذيته روحياً وتنمي العواطف الإنسانية، والمشاعر الخلقية فيه[٢٦].

وإذا أردنا أن نوضح بالأمثلة حقيقة كون القيم القرآنية ذات أثر تربوي وتمثل المعاقد التي تعقد بها الروابط الاجتماعية والفردية تواردت علينا أمثلة كثيرة جداً.

وبما إن الصلاة من أهم أهداف حركة الإمام الحسين (ع) ونهضته، إذ لم يكن مؤدياً لها فحسب، بل مقيماً لها، وفي أضنك الظروف[٢٧]، سوف نتخذ من فريضة الصلاة مثلاً من أمثلة القيم القرآنية وبيان – بحسب جهد الباحث – أثرها على الشخصية الإنسانية، وقد علمنا سلفاً معنى التربية، واتضح إنها مجموعة المؤثرات المعينة، التي تمتد إلى إحداث تغييرات لدى الأفراد، حتى يكتسبوا سمات الشخصية التي نتفق على اعتبار أنها قد تزودت بالخصائص التربوية[٢٨].

وأقول: لا يصل صاحب الأخلاق إلى هذه الدرجة إلا بعد المرور بمرحلة من تربية النفس نحو الفضائل، وتنحيتها عن الرذائل، إنّ العلاقة بين الأخلاق والتربية هي العلاقة بين النظري والتطبيق.

فالأخلاق الفاضلة: من عفو وحلم وعزة وسخاء علم نظري راق، والتربية تعويد النفس على هذه الأخلاق حتى تصبح سجية

إذ لا يكتمل إسلام المرء إلا بامتزاج التشريعات بالأخلاق، كامتزاج الروح بالجسد، فلا يُكتفى بالعقيدة والعبادة وتهجر التربية والأخلاق، وقد جمع الله – عز وجل – كل ذلك في قوله تعالى: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَO[٢٩].

إنّ ما بين التشريعات والجوانب الأخلاقية والتربوية من تعاضد وتكاتف كما بين لحمة النسيج وسداه، لا يتم الفصل بينها، فإنّ المسلم الحق هو الذي ملأت أخلاقه جميعَ جوانب حياته في عقيدته وعبادته ومعاملاته، إذ (لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلا بهما)[٣٠].

وفي موضوع الصلاة في القرآن الكـريم وأثرها على الإنسان، نلحظ في قولــه سـبحانه: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)(٣١)، ووجــه الدلالة من هذه الآية: أنّ الصلاة التي هي جــزء في سلوك الإنسان اليومي تحتاج إلى صبر، وهي ما هي في مكانتها وعظمتها، فكــل مــا يتعلــق بالأخلاق والسلوك التربوي كذلك

فقد اقترنت عبادة الصلاة بالقول الحَسَــن فقال تعالى: Πوَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (٣٢).

فينبغي أن يكون المصلي متعاهدًا نفسه لتربيتها على القول الحسن، وليس القول الحسن خاصًا بالمؤمنين فقط، بل لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم. فقد ذكر النيسابوري نقلاً عن أهل التحقيق: أنه على العموم وذلك أنّ كلام الناس مع الناس في الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، كما قال الله تعالى لموسى – عليه السلام – (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا)(٣٣)، وقال لنبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – Πوَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَO(٣٤)، وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كدعوة الفسّاق فحُسنُ القولِ أيضًا معتبر Πادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُO(٣٥)، Πادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُO(٣٦)، وأمّا في الأمور الدنيوية فمن المعلوم: أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه، فثبت أنّ جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول(٣٧).

ولنتأمل في ذلك قوله تعالى: Πوَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٣٨).

فمع أنّ الصلاة قرينة الزكاة في أغلب آيات القرآن، لكن في هذا الموطن لما كانت السورة تحمل في اسمها (المؤمنون) أسمى ما يتصف به المرء– فقد مزجت التشريعَ بالأخلاق، فأتبعت الصلاةَ بخُلُق الإعراض عن اللغو.

من هذا المنطلق وجب على حامل القرآن أن يتدبر في كلامه عز وجل، حتى يكون نموذجًا يحتذى، وخليفة لله في أرضه، عفّ اللسان، طاهر اليد، نظيف القلب

ونلحظ إن الصلاة مقترنة بالإعراض عن اللغو (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)(٣٩).

تؤثر الصلاة تأثيراً إيجابياً فتجعل صاحبها يعي ما يتكلم به، بحيث يكون عقله قبل لســانه، فلا يلغو ولا يفحش، وإذا سمعه يعرض عنه (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)(٤٠)، وعن معنى اللغو يقول ابن منظور: اللغو واللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منــه فائدة ولا نفع، لقلته أو لخروجه على غير جهــة الاعتماد من فاعله(٤١).

وقال الراغب: هو ما لا يعتد بــه، وهــو الذي يرد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا

ــ وهو صوت العصافير ــ وقد يسمى كل كــلام قبيح لغوًا.[٤٢]

وفي التعبير بــ (مُعْرِضُونَ) يفيــد أنهــم على هذه الأخلاق في عامة أوقاتهم ــ أي: تربوا على ذلك ــ كما ينبئ عنه الاسـم الـدال علــى الاستمرار، فيدخل في ذلك إعراضهم عنــه حــال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أوليًا، وإقامة الإعــراض مقام الترك؛ ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضورا[٤٣]، ومن ثــم إذا (كــانوا معرضين عن اللغو فإعراضهم عن المحرم مــن باب أولى وأحرى)[٤٤].

٣ــ الصلاة مقترنة بتطهير النفس من براثن الفواحش والمنكر، قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّــلَاةَ تَنْهَــى عَــنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[٤٥].

من التطبيق العملي لهذه الآية مــا رواه أنس بن مالك قال: كان فتى من الأنصار يصــلي مع النبي (ص) ولا يدع شــيئاً مــن الفــواحش والسرقة إلا ركبه فذكر للنبي(ص)، فقــال(ص): (إنّ الصلاة ستنهاه) فلم يلبث أن تاب، وصــلحت حاله، فقال رسول الله – صلى الله عليــه وآلــه وسلم – (ألم أقل لكم)[٤٦].

ونلحظ أيضاً أن القرآن الكريم حينما عرض للصلاة وهو يبرز أهدافها عرض لها من جهات متعددة، فقد عرض لها في موضع على أنها من أوصاف المتقين الذين ينتفعون بهذا الكتاب الكريم، والذين كانوا بتلك الأوصاف على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين، قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤٧]. فتعميق الصلاة لهذه الصفات لكونها (خطاً روحياً مباشراً بين الإنسان وبين الله)[٤٨].

وعرض لها مرة على أنها عنصر من عناصر البر والحق الذي رسمه الله لعباده ودعاهم إليه، وجعله عنواناً على صدقهم في الإيمان، وعلى أنهم المتقون، قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٤٩]، فــ (الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها)[٥٠].

وعرض لها علــى أنهــا ســبيل يؤهــل القائمين بها أن يتآخوا في الدين ويتقرر لهم مــا تفرضه الأخوة من حقوق وواجبات قال تعــالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَــإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[٥١]، فنلحظ أن المشركين بمجرد الإتيان بهذه الصلاة وإقامتها مع الركن الآخر، يكونوا إخوان المسلمين علــى

الرغم من العداوة السابقة، فهذا (نص في أن أخوة الدين تثبت بهذين الركنين ولا تثبت بغيرهما من دونهما... وهل يتعارف الأخوان في الدين إلا بإقامة الصلوات في المساجد وسائر المعاهد)(٥٢)، فهي عنوان للأخوة في المجتمع.

كما عرض لها على أنها عنوان للتمسك بالكتاب وسبيل للحصول على أجر المصلين، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)(٥٣) إلى غير ذلك من المواطن التي تقرر أن المقيم للصلاة كما أرادها الله والمتفاعل معها إنسان تتحقق فيه العناصر المكونة لشخصية الإنسان المؤمن، وإذا وجدت هذه الشخصية المؤمنة داخل المجتمع فإنها بالطبيعة تندفع نحو الخير والترابط والتعاون، إذ الإيمان الذي تؤسس له الصلاة وتثبته يتعامل بأوامر الإسلام القاضية بلزوم أخوة من يتماثل معها في الدين والعقيدة .

وبكلمة.. إن من فضل الله على البشرية أنه لم يتركها هملا، تخبط خبط عشواء، فتهيم على غير هدى، بل جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، فيقول رب العزة في محكم آيه: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(٥٤).

ولعل المتأمل للحالة الراهنة للأمة الإسلامية، يجد أنها في أمس الحاجة إلى منهاج تربوي يعمل على تقويمها وإصلاحها، ليخرجها مما وقعت فيه من ضعف نفسي، وأزمات فكرية، وانحرافات أخلاقية، وفساد اجتماعي، زلزلت كيانها وأدت إلى تراجعها وتخلفها، والتربية القرآنية (حتماً هي الوسيلة لذلك الصلاح لأنها البوتقة التي ينصهر فيها الرجال الذين يقودون الإصلاح)(٥٥)، فالمسلمون يجب أن يدركوا أن دينهم ليس مجرد مجموعة من الآيات والنصوص يترنمون بتلاوتها من دون وعي أو تدبر، وان يدركوا ذلك الدور الفكري التربوي لمنهج القرآن الكريم، وما يحويه من قيم ومبادئ وأبعاد تربوية عظيمة، إذ بتوجيهات القرآن المجيد كان ان تجلى للبشرية رجالٌ عظماء، عمالقة في الفكر والرأي في شتى المجالات؛ لأنهم التزموا صراط ربهم المستقيم ومنهجه القويم، يستقون من معينه، ويستضيئون بنوره، وينهجون في التربية نهجه، ومنهم عِدل القرآن وترجمانه الواقعي، العترة الطاهرة من آل محمد(ص) والإمام الحسين(ع) – محل البحث – .

ومن ثَمّ نعلم يقيناً (بأن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وأن المصحف وحده لا يعمل على صنع الرجال، وأن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً ملموساً)(٥٦)، لذلك إن التربية الناجحة هي التي تصوغ من فكر الإسلام شخوصاً، وتجعل إيمانهم بالإسلام عملاً، ويطبقون المنهج القرآني بالقول والفعل كما وصفهم ربهم عز وجل في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(٥٧)، فالقرآن الكريم يدعو إلى صياغة إنسان (بعيداً

عن الهوى، والضلالة، والخرافة، وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والتربوية و.. و.. وبالتالي فهو ينسق بين سعي الإنسان من جهة، وبين فطرته، والطبيعة من حوله، والتاريخ وسننه من جهة أخرى)[٥٨].

والمستقرئ لنصوص القرآن الكريم والمتدبر لآياته ومعانيها، يجدها توجه الأمة إلى الاستقامة على منهج الله سبحانه وسنة المعصوم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٥٩]، فنلحظ أن المنهج القرآني في البناء الفكري لا يحدد أمراً معيناً من شؤون الإنسان وبناءه، أو فعل خاص من أفعاله، ويقتصر عليه بناؤه دون غيره، بل الطريق واحد لجميع شؤون الإنسان، فالآية في مضمونها منهج (تشمل كل حياته، إنها دعوةٌ لتحديد الطريق التي يسلكها على أساس الهدف الذي يستهدفه، فإذا كان الله، هو هدف وجوده، في ما يريد أن يبلغه من رضوانه، ويصل إليه من جنته، فإن هناك طريقاً واحداً يصل به إلى هذا الهدف، لا يوجد غيره، ولا سبيل سواه، وهو الطريق المستقيم، الذي يبدأ من الإيمان بالله وينتهي بنيل رضاه)[٦٠].

وفي موضع آخر نجد الحث القرآني على الاستقامة وتمثّل القيم القرآنية، لتصل بالتالي إلى بناء فكر جامع لمعاني التربية وقيمها، قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[٦١]، فنلحظ هنا الأمر الإلهي للنبي(ص) ولمن اتبعه من المؤمنين بالتزام الاستقامة بما تحمل هذه المفردة من معاني الاعتدال والمضي على النهج من دون انحراف، والإنسان الذي يروم حياة قرآنية يكون (في حاجة دائمة إلى اليقظة الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل الاتجاه قليلاً أو كثيراً.. ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة)[٦٢]، ومجالاتها الواسعة، لتحقق واقع يعيش مبادئ القرآن الكريم وما أراده من منهج مستقيم يصل بالإنسان إلى سعادة الدارين.

المطلب الثاني: الأثر القرآني في الخطاب الرسالي للإمام الحسين(ع)

قبل الولوج في مضامين خطاب الإمام الحسين (ع) وبيان الأثر القرآني فيه، يرى الباحث أن يوضح الرؤية عامة للنهضة الحسينية والتي من خلالها نتمكن من عيش حيثيات خطابه (ع)، فالناظر إلى ثورة الإمام الحسينφ يلحظ إن نهضته ع كانت تتركز في عوامل رئيسة يمكن إن نجملها في[٦٣]:

١- تغيير الأوضاع السياسية واستبدال الجهاز الحاكم وأسلوب الإدارة والسياسة والتعامل مع الأمة وفق الموازين والمقاييس التي ثبتها الإسلام.

٢- إيقاظ الحس والوعي السياسي للأمة وجعلها جهاز مراقبة للسلطة متى ما انحرفت عن المبادئ أو تخلت عن تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية.
٣- تثبيت مبدأ شرعية المقاومة المسلحة للحاكم الظالم.
٤- إعادة تربية وبناء الأمة من جديد بناءً سليماً.
٥- تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها.
٦- كسر حاجز الخوف والإرهاب المفروض على الأمة وتحريك روح الثورة والفداء فيها.

ومعلوم أن الإمام الحسين (ع) هو الامتداد الطبيعي للنبي الخاتم (ص)، وهو تلميذ القرآن، والنبي والقرآن أهم مظاهر الثورة على الواقع المرير، وواقع عاشه الإمام الحسين ع إذ تحول فيه الإنسان المسلم الذي أرادته صياغة النبي والقرآن إنسان عقائدي، إلى إنسان فاقد لكثير من القيم جراء ضغوطات الأنظمة الحاكمة التي تمارس شتى أنواع القهر والاستغلال وبجميع صوره، فكانت هذه الأساليب الجاهلية (خليقة بأن تحوله من إنسان عقائدي، تسير حياته على خط مستقيم، خط النضال من أجل العقيدة، التي يحرر بها غيره من الناس ويرد إليهم اعتبارهم الإنساني المسلوب إلى إنسان لا ترتكز حياته على عقيدة، ولا يحفزه مطمح عظيم، إنسان تستبد به النزوات الطارئة، والمنافع القريبة، وتجعله تارة هنا وتارة هناك)[٦٤].

فكانت نهضته الشريفة على الظلم والجور بعد أن تشرب روح القرآن وكذا من قبل كان جده المصطفى (ص) في تصحيح المسار، فكانت قوة الإرادة فيه (ع)، يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (من النزعات الذاتية لأبي الشهداء (ع) قوة الإرادة، وصلابة العزم والتصميم، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة من جدّه الرسول (ص) الذي غيّر مجرى التاريخ، وقلب مفاهيم الحياة، ووقف صامداً أمام القوى الهائلة التي هبّت لتمنعه من أن يقول كلمة الله)[٦٥].

وكان الإمام الحسينφ مع هذا؛ من رجال الفصاحة وفرسانها وحماة البلاغة، وشجعانها، عليه تهدّلت أغصانها ومنه تشعّبت أفنانها، يفوح أرج النبوة من كلامه ويعبق نشر الرسالة من نثره ونظمه.

وللذوق الأدبي بسيرته ملتقى، كملتقى الفكر والخيال والعاطفة، وسوف نجتزئ من خطبةٍ له φ بعض القبسات[٦٦] مسلطين الضوء – بقدر مستطاع الباحث – على هذه الشذرات الكريمة في بيان المعالم الرسالية التربوية فيها موضحين ذلك الأثر القرآني العظيم في فكره (ع)، وعلى النحو التالي:

أولاً: المعاني المهمة التي تضمنها استهلال الخطبة: تبدو الخطبة في مجملها شائعة يسيرة الفهم، إلا إننا ونحن نتلوها وهي في حلتها البلاغية نشعر أننا أمام اثر فني متكامل، بالرغم

من تصديه ،لجماعة قلّما صفت ذائقتها الفنية، على أن عناية الإمام بالأداء الأدبي لم تصرفه عن العناية بالواقع النفسي، كما إن نقمته عليهم لم تثنه عن التوسل بما يثير عواطفهم، ويصور ضلالهم وعنادهم وجبنهم.

وقد بدت أفكاره أفكاراً واعظة، تحدّث إليهم بأمور دينهم، محاولةً لإيقاظهم من سباتهم العميق وغفلتهم المتأصلة وعبوديتهم لأهوائهم.

وهذا هو أسلوب الأنبياء والمصلحين الرساليين في تأكيد الدعوة الإصلاحية، وان عملهم هو قربة إلى الله تعالى وان كانت هذه الدعوة لا تثمر في بعض العباد العاصين إلا أنهم يدعوهم لما هو خير على كل الأحوال وان اعترض من اعترض، وهذا ما نلمسه في صريح القرآن الكريم، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(٦٧).

يقول السيد الطباطبائي: (إن المتعدين طغوا في تعديهم وتجاهروا في فسقهم فلم يكونوا لينتهوا بنهي ظاهراً غير إن الأمة التي كانت تعظهم لم ييأسوا من تأثير العظة فيهم، وكانوا يرجون منهم الانتهاء لو استمروا في عظتهم، ولا أقل من انتهاء بعضهم ولو بعض الانتهاء، وليكون ذلك معذرة منهم إلى الله سبحانه بإظهار أنهم غير موافقين لهم في فسقهم منزجرون عن طغيانهم بالتمرد.)(٦٨).

ونلحظ هنا أيضاً إن المصلحين أضافوا الرب إلى ألائمين لهم - وهم غير الفاسقين ممن يأس من الفاسقين ولم يعد ينصحهم – ولم يقولوا: إلى ربنا إشارة إلى إن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل انتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لان ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يعتذر إليه، ويبذل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وانتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا.

ثانياً: عمد الإمام الحسينφ إلى تذكير القوم بنسبه وشانه ومنزلته لعلهم يرجعوا عن غيهم ويحاسبوا أنفسهم، فهو ابن نبيهم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه، وهو اخو الحسن. قال عنهما جدهما الرسولv: (سيدا شباب أهل الجنة)(٦٩).

ويرى الباحث أن الإمام الحسينφ أراد من ذكر هذا النسب الشريف والأسماء المقدسة تذكيرهم بمنازل الوحي والألطاف الإلهية التي أفاضت على أهل هذا البيت، ويكتفي الباحث في هذا المورد بقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(٧٠).

يقول الآلوسي بعد أن يذكر حديث الكساء المتعارف الذي جمع الإمام علياًφ وفاطمة الزهراء والحسنين، وبعد كلام طويل حول الآية: (... هذا ما عندي في الكلام على الآية الكريمة المتضمنة لفضيلة لأهل البيت عظيمة، ويعلم منه وجه التعبير بيريد على صيغة المضارع ووجه تقديم إذهاب الرجس على التطهير ووجه دعائه v لأهل الكساء

بإذهاب الرجس من غير حاجة إلى القول بان ذلك طلب للدوام كما قيل في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا)(٧١) ونحوه ولا يورد عليه كثير مما يورد على غيره ومع هذا لمسلك الذهن اتساع ولا حجر على فضل الله عز وجل فلا مانع من أن يوفق أحداً لما هو أحسن من هذا واجل فتدبر ذاك والله سبحانه يتولى هداك.)(٧٢)

ويرى الباحث أن الله سبحانه وفق كثيراً من المؤمنين إلى تلمس المقصد الإلهي في هذه الآية الكريمة، فهذا السيد الطباطبائي بعد كلام طويل في تفسيرها يقول: (والمعنى: أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل واثر العمل السيئ عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل اثر ذلك عليكم وهي العصمة.)(٧٣)

ثالثاً: إصرار القوم على الانتقام: استخدام أسلوب التهديد والوعيد قبال مواعظ الإمام الحسينφ وإرشاده ونصحه إياهم؛ فقال الأجلاف الطغاة، المتحجرة قلوبهم: (نحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً.)، وفي موضع آخر قال قيس بن الأشعث للإمام الحسينφ: (تنزل على حكم بني عمك)، وهذه اللغة هي ذاتها اللغة التي انبرى الطغاة ألظلمة يوجهونها إلى الدعاة الرساليين من الأنبياء والصالحين عندما تعييهم الحجج والبراهين، وهكذا في كل زمان ومكان؛ استكباراً وعدواناً عليهم. ونلتمس مثل هؤلاء القوم في القرآن الكريم وحالهم مع أولياء الله تعالى، قال سبحانه عن قوم نبي الله شعيبφ: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)(٧٤).

يقول السيد الطباطبائي: (لم يسترشد الملأ المستكبرون من قومه بما أرشدهم إليه من الصبر وانتظار الحكم الفصل في ذلك من الله سبحانه بل بادروه بتهديده وبتهديد المؤمنين بإخراجهم من أرضهم إلا أن يرجعوا إلى ملتهم بالارتداد عن دين التوحيد)(٧٥)، وان كان الأمر في حق الإمام الحسينφ كان من طغاة عصره هو أما الموت أو الركون إلى الظالمين كما يستشف من ردود أفعالهم ومقولتهم الدالة على الانحراف بعينه عن كتاب الله الكريم وسنة رسول الله (ص)، والخنوع للإرادة الفرعونية، والعودة إلى سنن الجاهلية الأولى.

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (وما كان للحسين (ع) أن يعطي بيده إعطاء الذليل، فينزل على رغبات الحكم الأموي، وهو يرى الكتاب مهجورا والسنّة محرّفة، والحدود معطلة، فهذا هو الذل الدائم الذي يتنافى مع تمثيله للكرامة الإنسانية، في إبائه للضيم، وتجسيده للمثل الأخلاقية والنضالية، وهو العلم الشاخص الذي يشار إليه بالبنان لتنقية ما علق بالإسلام من أوشاب غريبة)(٧٦).

عندها أيقن الإمام الحسين، أنه إما أن يبايع الفاجر العاهر وأما أن يُقتل، ولا يكفيه مجرد السكوت، فالجماعة سيطر على قلوبهم حب الدنيا والمال الذي وعدهم به يزيد، ونسوا ذكر الله

وعبدوا الشيطان بدل عبادة الله. فهل يترك الإمام الحسينφ وظيفته الإلهية ومسؤوليته اتجاه أمته واتجاه أبيه وجده، وتجاه الله تعالى، ويصير من أتباع يزيد، ويصبح مطيعاً ومؤيداً ليزيد بعيداً عن التقوى؟!

هذا مما لا يمكن تصوره في حقه φ فنفسه كنفس أبيه وجده فهم وجدوا لأجل إصلاح الأمة الإسلامية وهداية الناس إلى سواء السبيل.

رابعاً: النقمة: في هذه المرحلة يئس الإمام من إصلاح القوم لتحجر قلوبهم وبعدهم عن إتباع الحق، فثار عليهم وأنبهم: (تباً لكم أيتها الجماعة وترحا[٧٧]، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين[٧٨]، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم[٧٩] علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أَلَباً[٨٠] لأعدائكم على أوليائكم ؟!

فسحقاً لكم ياعبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن)، لقد بدت النقمة مبثوثة في طيات هذا الجزء من الخطبة بصورة واضحة، نقمة ثورية تقريرية تلتفت إلى واقع الأمور وتنقله، وقد بعثت به إلى ذلك التكرار عندما أعلن لهم إنهم عبيد الأمة، ونفثت الشيطان، وزادت النقمة، وطفح الكيل.

وهنا يؤكد الإمام (ع) على الحقيقية الإلهية في أن الإنسان الطاغية (ينسى فيوغل في نسيانه، لأنه اشتم في نفسه رائحة من غنى، ويطغى في عتوه مدفوعاً بدافع من الغرور الذي يسلمه إلى محض العجب والاختيال)[٨١].

وهذا الأمر تعود صورته مرة أخرى كردة فعل للمصلحين الرساليين؛ فهذا نبي الله شعيب لما بلغ الكلام هذا المبلغ وقد اخبره طغاة عصره بعزمهم وعقد أمرهم على احد أمرين: الإخراج أو العود، ولما كانت العقيدة والأهداف اسما من العاصين المتمردين في نفوس المصلحين؛ هنا كانت ردة فعل اليأس من هدايتهم؛ قال شعيبφ: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)[٨٢].

يقول السيد الطباطبائي: (يسأل ربه أن يفتح بينهم أي بين شعيب والمؤمنين به، وبين المشركين من قومه، وهو الحكم الفصل فان الفتح بين شيئين يستلزم أبعاد كل منهما عن صاحبه حتى لا يماس هذا ذاك ولا ذاك هذا دعاφ بالفتح وكنى به عن الحكم الفصل وهو الهلاك أو هو بمنزلته)[٨٣].

نعم وذلك أن القادة الرساليين وأصحاب الفكر النير يتمسكون بمبادئهم مهما كانت النتيجة أو كبر الضغوطات الخارجية عليهم، وإيمانهم هذا نابع من يقينهم بتلك المبادئ، فنبي الله شعيب (ع) يبين (أن الرجوع عن الإيمان يعني افتراء الكذب على الله تعالى، وأنّ الدخول في الإيمان والنجاة من الكفر نعمة عظيمة، ولكن أنّى لهؤلاء الكفرة أن يدركوا تلك النعمة وهم لم يتذوقوها)[٨٤].

وأبو الأحرار وسيد الشهداء - روحي له الفداء - اختار المواجهة لإحقاق الحق مؤثرها على السلامة والدعة؛ وهذا ما أطمئنت له نفسه الرسالية القرآنية وبناءه المحمدي العلوي عندما حلل إرهاصات القوم وسبلهم وكيدهم بالإسلام، (ولم يبق أمام الحسين (ع) إلا الخيار الأخير الذي تمسك به منذ اللحظة الأولى بعزم وأسبقية، وهو طريقه الوحيد الذي ظل فيه سائراً متحدياً العقبات والضغوط العاتية)(٨٥)، فقالφ: (ألا إن الدعي(٨٦) ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة(٨٧) والذلة، وهيهات منا الذلة).

هو شعار طرحه الإمام من خلال ثورته الرسالية المباركة، أراد أن ينبه الأمة من خلاله إلى أصالتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية وأن العزة الحقيقية لا تكون بالضرورة مع أصحاب المناصب والجاه الدنيوي والرفاهية المادية وفي هؤلاء مصداق قوله تعالى: (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)(٨٨)، ونلحظ في هذه الآية الكريمة (استفهام إنكاري ثم جواب بما يقرر الإنكار فان العزة من فروع الملك، والملك لله وحده.)(٨٩)، فلا يمكن أن تكون العزة إلا مع المالك الحقيقي وهذا المالك الحقيقي هو الله المنعم على عباده المكرمين وبيده الأمور؛ قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)(٩٠)؛ وكذلك نلحظ التأكيد على العزة في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)(٩١)، فأراد الطغاة أن يُسببوا للإمام الذل في أي صورة كانت، ومهما كانت دناءة الوسيلة، يقول السيد الشهيد محمد صادق الصدر (+): (لا شك أن المعسكر المعادي وقادته أرادوا إذلاله، وحاولوا إهانته، وهذا أكيد، إلا إن شيئاً من ذلك لم يحصل، لأن الذلة الحقيقية إنما تحصل لو حصلت المبايعة للحاكم الأموي والخضوع له، تلك هي الذلة التي تجنبها الحسين (ع) بكل جهده، وضحى ضدها بنفسه، وأنما الصمود في ساحة القتال فلن يكون ذلة، لا في نظر أصدقائه ولا في نظر ربه جل جلاله)(٩٢).

فكان (ع) من المؤمنين الذين أعزهم ربنا بعزه، فإذا لم يكن الإمام الحسين من المؤمنين فمن عسا أن يكون من المؤمنين؟ بل كيف لا يرتقي إلى أكثر من ذلك درجة وهو القائل فيه جده الرسول الأعظم(ص): (حسين مني وأنا من حسين)(٩٣).

وبهذا أراد الإمام صد المحاولات الأموية التي سعت إلى إفراغ الأمة من محتواها العقائدي وهي محاولات جاهلية يرفضها الإسلام ويرفضها المؤمنون، أراد الإمام الحسين أن يصحح مفهوم العز والذل في شعاره هذا، فطاغية عصره يزيد ومن قبله معاوية والأسرة الأموية ساروا على خطى السنة الفرعونية والقارونية والجاهلية العمياء.

فقد فرضوا الذل على المسلمين وألبسوهم هذا الثوب البعيد عن إسلامهم وإيمانهم، فبعض الناس كعمر بن سعد وغيره... تنازلوا عن هذه العزة والكرامة من اجل حفنة من المال قدمها الطاغية فألجمهم عن قولهم الحق واستعبدهم.

وبعض آخر استهواهم بالمناصب والمراتب فذلوا له وأطاعوه طاعة الحيوانات، فتعطلت حواسهم وإدراكهم وتفكيرهم.

وقسم ثالث رفضوا كل عطيات الحاكم الظالم، ونظروا إلى الحق بعين القرآن التي تأبا الذل والهوان، وترفض المساومة والاستعباد على مقومات عزتها وكرامتها، وأبت أن يقودها يزيد وأتباعه، ومن هم على شاكلته، لان الذل لا يسمح به الله تعالى لعباده، فإذا كانت العزة بهذا العمق وهذا التأصل فهل يتنازل عنه سيد الشهداء وابن الأكرمين ليزيد الدعي ابن الدعي!!.

خامساً: الأدلة والبراهين: بدأت الخطبة تجري بأسلوب تصاعدي يتدرج فيه الإمام بإظهار نقمته درجة درجة، حتى إن الفكرة اللاحقة تطئ الفكرة السابقة وتتسامى عليها، ويكاد لا يصل إلى المقطع الأخير حتى يكون قد عبر عن جميع ما كان يضطرب في نفسه، ويلهج في صدره من أفكار وآراء معتمداً على البراهين المنطقية والآيات القرآنية:

١- (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)[٩٤]، ونلحظ إن استشهاد الإمام بهذه الآية لم يكن عفوياً بل إن تناسبها مع الموقف يجدد سبب نزولها وهدفها، إذ (إن نوحاً رسول الله الكبير صمد مقابل أعداءه الأقوياء المعاندين وواجههم بقاطعيه وحزم وفي منتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القليلين الذين كانوا معه، وكان يستهزئ بقواهم ويريهم عدم اهتمامه بخططهم وأفكارهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان يوجه ضربة نفسية عنيفة إلى أفكارهم.)[٩٥].

هذا من جانب نبي الله نوحφ ولنزولها على نبينا محمدv شاهد آخر له للتصبّر والتسلية لما وقع عليه وانه كان واقع على إخوانه من الأنبياءφ، وهي كذلك دافع للاقتداء من لدن الصالحين في كل زمان، وإن مصير المعاندين الهوان، يقول ابن عاشور: (فذكر قصة نوح مع قومه عِضة للمشركين وملقياً بالوجل والذعر في قلوبهم، وفي ذلك تأنيس للرسول وللمسلمين بأنهم إسوة بالأنبياء، والصالحين من أقوامهم)[٩٦].

٢- (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٩٧]. وهذا دليل آخر يستشهد بها الإمامφ وهي لنبي آخر من أنبياء الله تعالى وهو هودφ، ونلحظ هذا التطابق الموضوعي لحركات المصلحين المعصومين، ومعنى الآية الكريمة محل الشاهد والتي على لسان النبي هودφ لقومه العاصين؛ يقول الشيرازي في تفسيرها: (إنني لا أقول إلا الحق والصدق، وان قلبي مرتبط بعالم آخر، فلو فكرتم جيداً لكان هذا وحده معجزا حيث ينهض إنسان مفرد وحيد بوجه الخرافات والعقائد الفاسدة في مجتمع قوي ومتعصب، ولكنه في الوقت ذاته لا يشعر في نفسه بالخوف منهم، ولا يستطيع الأعداء أن يقفوا بوجهه! ثم يضيف: لستم وحدكم في قبضة الله فإنه (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)، فما لم يأذن به الله، لا يستطيع احد أن يفعل شيئاً)[٩٨].

وهذه الأدلة القاطعة، والبراهين المنطقية، ضرورية للتأثير في الخطابة، لأنها تضع السامع أمام واقع يشاهده ويلتمسه بحواسه، وتسهم في إقناعه عن طريق العقل والمنطق.

وهكذا نرى الأدلة والبراهين وإدخال الآيات القرآنية شواهد دامغة تمثل اللحمة في الخطبة، وقد ظهرا في خطب الإمام عليφ كما ظهرت أيضاً في خطب النبيv وهي تدل على أن الخطبة أصبحت أقرب إلى الحياة الواقعية وأكثر ارتباطاً بعضها ببعض من الخطب الجاهلية، المتشبه غالباً بأسجاع الكهان.

سادساً: (المقابلة والتمثيل) والدعاء وإعمال العقل: كما استعان الإمام بالأدلة الشائعة في الخطابة آنذاك، فانه توسل أيضاً بما يدعونه (المقابلة)، فهو إذاً أراد أن يمثل حبهم الدنيا والمناصب وتهافتهم عليها وصفه بأنه كتهافت الفراش الذي يسرع إلى النار ليحترق بها، وهذا دليل رعونتهم وظلالهم ونهايتهم المحزنة، فبعد أن ضاق ذرعاً بهم قال الإمامφ بعد أن رفع يديه إلى السماء: (اللهم احبس عنهم مطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة).

لأنهم خذلوه وكذبوه؛ وهذا التكذيب والخذلان بطبيعة الحال هو تكذيب وخذلان لمبادئ الإسلام وأساس الإيمان عند التفكر في بواعث النهضة الحسينية.

كل هذا الدعاء المؤثر يرمز إلى إن انتصارهم هو انتصار الباطل على الحق، ويؤدي بهم إلى تمثل الخزي الذي لحق بهم.

ودعاء المصلحين لا ينبع من غضب فارغ، أو لفوات منفعة آنية، بل هو لأجل الإصلاح وان كان هذا الإصلاح آجلاً في موعده؛ فهم يطلبون تفكيك العقبات التي تقف حائلاً أمام ولوج الإصلاح إلى مظانه، ومن هذه الموانع الإصلاحية وجود هكذا طغاة منحرفين عن الجادة الحق، فإبادتهم فتح لنور الشمس ليصل إلى غيرهم ممن حرموا إياه بسبب وقوفهم وصدهم.

وهذا نبي الله نوحφ يدعو على قومه العاصين المنحرفين، قال تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)(٩٩)، ثم يتضح سبب هذا الدعاء وتبريره في قوله تعالى: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)؛ وهنا تشير الآية إلى (إن دعاء الأنبياء ومن بينهم نوحφ لم يكن ناتجاً عن الغضب والانتقام والحقد، بل انه على أساس منطقي، وإن نوحاًφ ليس ممن يتضجر ويضيق صدره لأوهن الأمور فيفتح فمه بالدعاء عليهم)(١٠٠).

وهذا ما نلحظه أيضاً عند وارث الأنبياء الإمام الحسينφ وما تقدم من دعاءه على الظالمين، فظالم الحسين الذي لم يحفظ حرمة الإمام لا يمكن أن يحفظ حرمة احد من المسلمين مع علو وشرف الإمام الحسينφ وهو من لا ابن بنت نبي على وجه الأرض غيره.

واستعمل الإمامφ في تعبيره المتقدم ما فيه إثارة العقل وإعماله ودعوة إلى التفكر، بما ضرب من أمثلة؛ وهذا أسلوب قرآني بامتياز كما يتضح من آيات القرآن الكريم[١٠١].

والخطيب الرسالي الناجح في خطبته هو الذي يعتمد المنطق في تحليله وأمثلته لإثارة العقول، وقد يتحقق الإبداع الخطابي ويظهر في قدرة الخطيب على اكتشاف النتائج التي تستميل عقول السامعين وتؤثر في نفوسهم تأثيراً عميقاً.

سابعاً: الانحراف العقائدي للقوم واليأس منهم: يظهر واضحاً الحالة التي يعبر عنها الإمامφ في النهاية وهي مفعمة باليأس من القوم الضالين الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فحسبوا أن في قتل الحسين أجراً وجزاءً فكانوا مصداق قوله تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا)[١٠٢]، وسوء الفهم وتلبس الشيطان والانحراف هذا هو (المفتاح لكل مصائب الأقوام الضالة والمعاندة، الذين يرون أعمالهم القبيحة أعمالاً جميلة، وذلك لانسجامها مع شهواتهم وقلوبهم المعتمة)[١٠٣].

وهكذا هو ديدن المعاندين، فمن قبل كان (المشركون من قوم شعيب يحاربون دعوته ويصدون عن دينه، مستخدمين إمكاناتهم الإعلامية، فاخذوا يحذرون الناس من إتباعه...، وفي هذا إشارة ظاهرة إلى شدة تمسك هؤلاء الكفار بباطلهم، وحرصهم عليه، وتواصيهم برفض الإيمان، وعداوة نبي الله والمؤمنين)[١٠٤].

وهكذا كان الجهل بمبادئ الدين الإسلامي الحقه، وهكذا كان يعمل أهل التضليل وباسم الدين بعملية التضليل الديني التي (تكفل بإيجاد تبرير ديني للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الإسلامي، وأُريد منه حمل الجماهير المسلمة على السكوت عن النقد والقعود عن محاولة تغيير الوضع إلى مستوى أحسن)[١٠٥]، ومن خلالها استطاع الأمويون تحشيد الجيوش للقضاء على رسالية الثورة الحسينية، مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل الذي خلفته السقيفة، ونلمس هذا الزيف في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي – من قادة الجيش الأموي – يحفز الناس لمواجهة الإمام الحسينφ حين وجد منهم تردداً وتباطؤاً عن الأوامر قائلاً:

(يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام)[١٠٦]. فالدين في دعوى الأمويين طاعة يزيد ومقاتلة الحسينφ.

فكانت النتيجة الزحف والقتال لأن الأمة في سُبات لا يُنهضها منه إلا صدمة ودم، وليس صدمة كالصدمات ولا دماً كالدماء، وهي بحاجة إلى هداية من نوع آخر لا تتحقق ولا يتحقق فيها الرشد في عصرها وما بعده إلا من كان فيه نفس الرسول ورساليته الإصلاحية عند انعدام الرسولv ؛ انه الحسين فحسب، فقالφ: (ألا واني زاحفٌ بهذه الأسرة، على قلة العدد، وخذلان الناصر... والله لا يدع أحداً منهم إلا انتقم إليَّ منه، قتلةً

بقتلة، وضربةً بضربة، وانه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي....)(١٠٧).

وهوφ متألم على هؤلاء القوم الضالين الظالمين، آسفاً على مصيرهم وعاقبتهم الحتمية في جهنم، وإن يكنφ السبب الذي يؤدي إلى سوء عاقبتهم مع ظلمهم إياه وجرأتهم عليه(١٠٨).

وهذا ليس بغريب على وارث الأنبياءφ، فذاك جده الرسول الأعظمv يتألم ويتحسر على مصير الضالين والكافرين، فيقول الله سبحانه له: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)(١٠٩)، والآية واضحة الإشارة على شدة تحرق الرسولv على الضالين والمنحرفين، وكذلك (هي حال القائد الإلهي المخلص يتألم لعدم تقبل الناس الحق وتسليمهم للباطل، وضربهم بكل أسباب السعادة عرض الجدار، إلى حد كان روحه تريد أن تفارق بدنه)(١١٠).

ومع كل هذا لقد أبى القوم إلا الإصرار على حربه والتمادي في باطلهم، وأجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبيهم كما حكى الله عز وجل عنهم في كتابه الكريم: (مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا)(١١١).

(... وأنت ياربنا عليك توكلنا واليك المصير.) هكذا ختم السبط الإمام خطبته مع الظالمين المنحرفين بالتوكل والصبر على الأذى في جنب الله تعالى، وهكذا ختم الرسل كلامهم مع طغاة عصرهم وظالميهم، قال تعالى: (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)(١١٢)، وفي تفسير قول الرسل لقومهم يقول السيد الطباطبائي: (من تفريع الصبر على ما بين وجوب التوكل عليه أي إذا كان من الواجب أن نتوكل عليه ونحن مؤمنون به وقد هدانا سبلنا فلنصبرن على إيذائكم لنا في سبيل الدعوة إليه متوكلين عليه حتى يحكم بما يريد ويفعل ما يشاء من غير أن نأوي في ذلك إلى ما عندنا من ظاهر الحول والقوة)(١١٣).

والقرآن الكريم يوضح هذا المبدأ في منهجه التربوي، حيث جعل صفة كظم الغيظ من صفات المتقين، وهذا هو (مفهوم القيم كما يقررها المنهج القرآني من أن مكانة المرء تتحدّد بقوة إيمانه لا بعنجهية سلطانه، وان تقوى الله هي التي تسمو بالإنسان إلى أعلى الدرجات من الإكرام والتبجيل)(١١٤)، وان الإيمان هو المعيار الحقيقي الذي تقاس به منزلة المؤمن والمسوغ الذي يرشحه لقيادة الأمة.

ولكن قِبال ذلك الخُلق الرفيع والمفهوم الإيماني في تحمل الأذى والصبر عليه، يبرز أمامنا مفهوم آخر يُحدده المقام في اتخاذه منهجاً وسبيلاً عندما لا تكون جدوى من المفهوم الأول، وذلك هو الجهاد والتصدي للطغيان والظلم، فآيات الله في القرآن صريحة واضحة في التحريض على القتال لاستنقاذ المظلومين من الرجال والنساء والأولاد الذين لا يجدون حيلة للتحرر من الاستغلال والاستعباد، قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ..)(١١٥)، فنلحظ هنا (الحث على

القتال الذي لابد منه لكونه في سبيل الحق أي وماذا ثبت لكم من الأعذار في حال ترك القتال حتى تتركوه؟ أي لا عذر لكم ولا مانع يمنعكم أن تقاتلوا في سبيل الله، لإقامة التوحيد مقام الشرك، وإحلال الخير محل الشر، ووضع العدل والرحمة، في موضع الظلم والقسوة)(١١٦).

وهكذا كان القرار الحاسم الذي اتخذه الإمام الحسين (ع) في التصدي للشر وبذل النفس في سبيل الله وبكل ما تحمل كلمة سبيل الله من معنى، وأول ما يلاحظ في هذا القرار أن الحسين (ع) قد أنبأ الجميع برؤيته للمصير المرتقب، فقد كتب إلى أخيه محمد بن الحنفية بخاصة، والى بني هاشم بعامة، وبنسخة واحدة برسالة معبرة، كان فيها: (أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل، والسلام)(١١٧).

ولك أن تعجب من بلاغة هذه الرسالة القصيرة التي جاءت سطرً واحداً، ولك أن تقف مترصداً دلالتها الإيحائية الصارخة، فالحسين (ع) فيها ينعى لأخيه وبني عمومته نفسه، فهو يودع الدنيا وداع مؤمن بفنائها، ويستقبل الآخرة استقبال متيقن بخلودها، وهكذا كان(١١٨).

وفي موضع آخر للأثر القرآني في الخطاب الحُسيني في تشخيص أسباب الفشل والانحطاط التي أصابت الأمة كمجتمع وافراد، نلحظه في قوله (عليه السلام): (فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرةً عاديتموها في ذات الله)(١١٩)، فنجد من جملة التشخيصات:

١- الشح: من اسباب الانحطاط والانحراف التي تصيب الانسان الفرد والمجتمع هو الشح، والامساك عن البذل فيما خولنا الله سبحانه من النعم، ومن هذه النعم هو المال، وقد نبه القرآن الكريم ان الإنسان تارك ما خوّل، فقال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...)(١٢٠)، ومعنى ذلك ان (الاموال التي وهبناها لكم وكنتم تستندون اليها في حياتكم، قد خلتموها وراءكم وجئتم صفر الايدي)(١٢١) .

فإذا علم الانسان هذه الحقيقة وواقعيتها، ندرك ان سبب هذا الامساك وعدم البذل هو الحرص، والحرص من اسباب الشقاء والعناء في هذه الحياة، يقول الإمام علي (ع): (الحرص عناء مؤبد)(١٢٢) .

وبأدنى ملاحظة عندما ندرس حالات الذين يعيشون الحرص والطمع في حركة الحياة نرى مدى التعب والشقاء الذي يعيشه هؤلاء ليل نهار في سبيل جمع الاموال والزخارف الدنيوية من دون الاستفادة منها، ومن ثم الانشغال بهذه الحياة ومتعها وبالتالي التعلق فيها وعدم المبالاة في الوقوف مع الحق او نصرته، بل الوقوف ضد الحق ومن ذلك موقفهم من الامام الحسين (ع)، وما دعى اليه من احقاق الحق .

وما ذاك إلا ان (الحرص من الامور التي تؤدي الى الكثير من الذنوب والخطايا والقبائح منها عدم مراعاة الحلال والحرام وترك احترام

حقوق الاخرين والتلوث بأنواع الظلم والجور والعدوان)[١٢٣] .

ومن الجدير بالذكر ان الإمام الحسين (ع) لم يحصر خطابه فقط في أهل الحرص، او الذين يؤدون حقوقهم الشرعية (خمس وزكاة) بل (يقصد شيئاً غير الحقوق الواجبة، لان بقاء الدين في بعض الاحيان يحتاج الى الانفاق من الاموال الشخصية، وحينئذ ليس من الصحيح ان نقول اننا قد ادينا حقوقنا الواجبة وليس على عاتقنا حق آخر)[١٢٤]، فكان عليكم تحصين انفسكم والاجيال واستثمار الاموال في سبيل الله، وما سبيل الله الا سبيل الانسانية، والاسلام والعترة الطاهرة هما عين الانسانية وقيمها، والامام الحسين (ع) في خطابه للناس يبين ان من اسباب الانحراف هو عدم بذل المال، إذ كان من المحتم (ان تنفقوا من اموالكم في سبيل نشر الاسلام والحيلولة دون انتشار البدع والتصدّي لأصحاب البدع، ولكنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك)[١٢٥] فكان ان انحرفت الامة عن سواء السبيل ، وهل يوجد اشد واقسى انحراف من ان تقتل ابن بنت نبيها !

٢- الحرص على الحياة: والملاحظ ان من اسباب الانحراف عن الدين والقيم السماوية، هو ايثار السلامة، فيقول (ع): (... ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ...)، والتخاذل عن التضحية من اجل المبادئ لا يقل خطراً من عدم الانفاق في سبيل الله تعالى .

ومراد الإمام (ع) في المخاطرة بالنفس هو التصدي لإقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اذ ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو الهدف الهام الذي ابتعث الله له النبيين، ولو طوى بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب علمه وعمله والمحق بالكلية رسمه، فأستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم .

فكان ان سعى الامام الحسين (ع) قولاً وعملاً في اقامة هذه الفريضة، عائباً على الناس وعلمائهم اهمالها وتعطيلها، وحاثاً (ع) لتلافي هذه الفترة والسعي لسد هذه الثلمة اما متكفلاً بعملها او متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه الفريضة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في احيائها .

وقد اثنا القرآن المجيد على القائمين بهذه الفريضة، بل ان خيرية هذه الامة كان بسبب قيامهم بهذه الفريضة، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[١٢٦] .

يقول الشيخ الطبرسي (ت٥٣٨هـ): اي (صرتم خير أمة خُلقت؛ لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله، فتصير هذه الخصال على هذه القول شرطاً في كونهم خيراً)[١٢٧] .

واستدل الفقهاء بهذا الثناء الذي انحصر بهذه المزايا الثلاث على الوجوب (فمدحهم بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر كما مدحهم بالإيمان بالله تعالى، وهذا يدل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١٢٨] .

وان القيام بهذه الفريضة كان مما يتعلق به حفظ كيان الاسلام والحرمان، وبالتمعن في مقولة الامام الحسين (ع) لا يمكن ان (نتصور ان شرط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ان لا يُلحق بالإنسان ضررا)[١٢٩]، فهذا يعني انه كان يجب عليكم ان تخاطروا بأنفسكم في سبيل قيم السماء، حتى وان بلغ في هذه المخاطرة الى القتال والقتل، فهذه سُنة الاولياء والعظماء وما الامام الحسين (ع) الا تجسيداً حياً لقيم السماء وتعاليم القرآن المجيد، وهو الامتداد الطبيعي للذرية الصالحة ولمنهج النبي (ص) ووصية امير المؤمنين علي (ع)، اذ يقول الامام علي (ع): (... ان الله تبارك وتعالى لم يرض من اوليائه ان يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال اهون علي من معالجة الاغلال في جهنم)[١٣٠].

٣- العلاقات القومية والفئوية: يوضح الامام الحسين (ع) ان الالتفاف حول العشيرة والقومية بكل سلبياتها وتبني افكارها وتقاليدها امام مبادئ الاسلام ومرضاة الله تعالى من عوامل الانحراف عن الدين، فقال (ع): (ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله) .

اذ كانت العلاقات القومية والعشائرية في ذلك الزمان اصلاً من اصول الثقافة العربية، وكذا (اليوم حيث يُلاحظ وجود مثل هذه العقليات والترابط القومي والعشائري وتعصّبات الاقارب بين الناس الذين يعيشون الاجواء القبائلية)[١٣١].

فمن المعلوم حث الاسلام على صلة الرحم ووجوبها، والتقارب بين أفراد العشيرة الواحدة او العائلة، ولكن لا يمكن ان تكون هذه الصلة وهذا التقارب على حساب المبادئ وصلة الدين التي هي اكبر واهم من اي صلة اخرى، اذ (ان الواجب الشرعي يقتضي احياناً ان يعادي الانسان ابناء عشيرته واقربائه)[١٣٢] .

وهذا العداء للمبادئ المنحرفة عن الدين ومنهج الاسلام القويم من علامات المؤمنين الرساليين، وهذا واضح في وصف القرآن لهم، قال تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)[١٣٣] .

فأولئك المنحرفون الذين خاطبهم الامام الحسين (ع) قد خالفوا ما وجه به القرآن المجيد ونبه اليه، فكانوا (يوالون من خالف الله ورسوله، والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الايمان، والمراد به الموالاة في الدين)[١٣٤] لا الموالاة تحت عنوان العشيرة والقومية، والبراءة والمعاداة تكمن في حقيقتها في الترك القلبي والفعلي للكافرين والظالمين والفاسقين، وعدم اتباع مناهجهم وسلوكياتهم وافكارهم الضارة بالدين والمجتمع.

ولا يمكن بحال من الاحوال ان نعوّل على العشائرية والقومية في رص الصفوف وتوحيد الكلمة، إذ (صارت القوميّة هذه جسراً من جسور الاستعمار، ومعبراً صالحاً الى بلادنا، وبسلاح العروبة نفسها طعنت الأمة العربية المسلمة بخنجر مسموم واغتصبت فلسطين السليبة)[١٣٥].

وبعد هذا وجب علينا نحن المسلمين أن لا نقاتل من موقع وطني ولا نحارب من موقع حربي أو عشائري، ولا من أي موقع قومي أو جغرافي أو تقدّمي، وإنما نقاتل من موقع الإيمان بالله سبحانه، نقاتل من أجل إعلاء كلمة الله، نقاتل أعداء الله من أي لون أو جنس كانوا.

اذن التقوى هي المقياس في الاعمال كافة، وبها معيار القيم السماوية وان اخذت بعض القيم الكاذبة حيزاً في البناء الاجتماعي، واصبحت من ابرز سماته، فكان ان ترى جماعة ان قيمتها الواقعية في الانتساب الى القبيلة المعروفة، وهذا الافتخار بالقبيلة على حساب الدين ليس محصورة على زمن الجاهلية فحسب، بل امتد الى زمن خطبة سيد الشهداء (ع)، وهكذا (نجد رواسب هذه الجاهلية في اعماق نفوس الكثيرين من الافراد والمجتمعات !!)[١٣٦] .

فالإسلام حارب العصبية الجاهلية في اي شكل كانت وفي اي صورة ليجمع المسلمين في العالم من اي قوم وقبيلة وعرق تحت لواء واحد، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[١٣٧] .

فالقيمة الروحية التي يتقرب بها الانسان الى ربه، هي التجسيد العملي للتقوى الفكرية والسلوكية ، لذلك كانت هي معيار الاكرام، وهي العمل في الخط المستقيم المنفتح على الله سبحانه وعلى الحياة وعلى الانسان من موقع المسؤولية، ليكون العمل هو القيمة، لا خصوصيات شخصية الانسان[١٣٨] .

وبطبيعة الحال لا يعني هذا نبذ الخصوصية مطلقاً، ولكن هو التأكيد على ان المائز هو التقوى، ولعل ابلغ تعبير عن هذه الفكرة، ما ورد في الحديث عن الامام علي بن الحسين (السجاد) (ع) حول العصبية للقومية، قال ان: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية ان يعيّن قومه على الظلم)[١٣٩] .

وبكلمة اخيرة ... ان الإمام الحسين (ع) في هذا المقطع من خطبته (محل البحث) شخص ابرز مظاهر الانحراف عن قيم السماء، وكذلك اكد (عليه السلام) على الأهمية البالغة في نبذها فهي من اخطر عوامل الضلال والاضلال، وان العامل على مجاهدة هذه الظواهر ممن رسخ في نفسه جوهر الاسلام بما فيه من مبادئ عالية المضامين، ومن ثم يكون على الخط الذي شرعه الله سبحانه وسار على منهج سيد الشهداء (ع)، وبما ان صراع الحق مع الباطل لا يقف عند حدود زمانية معينة، فإن الامام (ع) ابلغ في

مضامين خطبته عصرنا الحاضر وزماننا الشاهد، وهو بهذا حجة دامغة علينا.

ولا غرو فقد كان الحسين (ع) الامتداد الطبيعي للأنبياء ووارث رسالاتهم وحامل أهدافهم ومبادئهم، وسائر (الثورات والحركات المقدسة، قد ابتدأت في الحقيقة بالأنبياء العظام،.. أقاموا في سبيل مكافحة عبادة الأصنام والنضال ضد الظلم والاستبداد والجهل والتعصب والإسراف والتبذير والإفساد في الأرض والفحشاء والامتيازات الاجتماعية الوهمية)[١٤٠]، فـ(هم (عليهم السلام) مَن بادر إلى إقامة الكيان السياسي، ليس على مبدأ القوة أو الصراع الطبقي، وإنما على أساس شرائع سماوية ذات مناهج اجتماعية، تنظم حركة المجتمع على وفق قواعد الحق والعدل، وتوحد صفوفه في ظل قيادة رساليّة (الأنبياء)، وهذا ما يمكن تسميته بالدولة، وعليه يكون الترابط بين ظاهرة النبوة وظاهرة الدولة ترابطاً سببياً وزمنياً)[١٤١] ، فقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء، ورسالات السماء، واتخذت صيغتها السوية، ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع الإنساني، وتوجيهه من خلال ما حققه الأنبياء من أهداف في هذا المجال من تنظيم اجتماعي[١٤٢].

فالدعوة بحاجة إلى برامج وأيديولوجية موجهة ومنتظمة، لان كل مشروع أو تنظيم هو بنفسه عمل سياسي، فالهداية بمعنى التوجيه، والقيادة بمعنى إيصال جماعة إلى إيديولوجية وأهداف محددة ومرسومة من قبل، إنما هما الاصطلاح السياسي بنفسه.

فدراسة الأهداف السياسية للأنبياء وتحليلها وتفسير مرتكز الفكر السياسي الإسلامي، هي من أهم الأبحاث في هذا المجال، وكذلك بيان مدى العلاقة والارتباط بين السياسة والدين في إعطاء النتائج لقد اعتمدت الأديان الإلهية ثلاثة أهداف مهمة وأساسية في إستراتيجية عملها وهي:

١- إقامة القسط وهداية المجتمعات البشرية نحو تطبيق العدالة.
٢- الدعوة إلى الحق، وإيجاد الارتباط البنّاء والمتين بين الإنسان وربه.
٣- السير نحو التكامل، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[١٤٣].

وكل واحد من هذه الأهداف السماوية وتعاليم الأنبياء، له ارتباط مباشر بقضايا السياسة، - وهذه الأهداف ذاتها نلحظها في النهضة الحسينية الرسالية كما تقدم - وهي لا تتحقق أبداً من دون أن يكون هناك فكر سياسي منسجم ومنتظم، وفلسفة سياسية واضحة متكاملة؛ وعلى هذا، فإن هداية الأنبياء هي بمعنى القيادة الرسالية، وبذلك هي عمل سياسي محض، وان أئمة أهل البيت هم ورثة الأنبياء، ولا مجال لأي شبهة تثار هنا أو هناك بان الإمام الحسينφ طالب دنيا وسلطان، ومعالم خطبته شاهد لا ينكره إلا معاند ظلوم، وموقعه من الأمة موقع القائد الهادي، والعالم المعصوم، والمصلح الرسالي، الذي اتخذ من القرآن منهجاً عملياً في نهضته

المباركة، تحقيقاً للعدل الإلهي ولـو بعـد حـين، ومناراً للثائرين ومساراً يعزز (الكثير من طمـوح الشعوب المستغلة من أجل إنهاض هذه الشـعوب وإيقاد فتيل الثورة للإطاحـة بـالنظم المسـتبدة وإيجاد المجتمعات السليمة التي تحقق للشـعوب حريتها وكرامتها وطموحاتها في الـتخلص مـن الاستغلال وتطوير الحياة وما يضمن لتلك الشعوب أمنها ورفاهيتها)[١٤٤].

وبهذا لا يمكن أن يطلب الإمام (ع) (فتحـاً عسكرياً، وإنما كان يطلب في خروجـه تحريـك ضمائر المسلمين وإثـارة الضـمائر والنفـوس والعواطف والعقول بفعل المأساة المفجعة التـي واجهها الحسين (ع) على يد جيش بني أمية في كربلاء)[١٤٥].

إذن لا يمكن النظر إلـى ثـورة كـربلاء وخطب الإمام الحسين (ع) فيها على أنها حـدث تاريخي كغيره من الوقائع التي سـجلها التـاريخ والتي نتجت عن تضافر ظروف سياسية وفكريـة لتعبر عن موقف اللحظة أو المحطة التي اقتضـت تغييراً بهذا الأسلوب الفريد الذي لم تشـهده كـل تجارب الأمم والشعوب السابقة والذي لن يتكـرر بكل عناصره وخصوصياته ذلك أن هـذه النظـرة ستخرج قضية كربلاء عن كونها منهجـاً كـاملاً وأسوة صالحة للاقتداء بها واتباعها في كل وقت، فهي ثورة قرآنية عملية تجسدت في شخص الإمام الحسين (ع)، وممتدة أفقياً مع المنهج القرآنـي، ولعل الإشارة إلى هذا المعنى كانت واضحة وتامة في المقولة المشهورة: (كل يوم عاشوراء وكـل أرض كربلاء)[١٤٦]، فهو (ع) (شموخ مع التاريخ وصمود مع الأجيال يتجلى بكل وضوح فـي أفـق الحياة الواسع ومع سير الزمن السرمدي لا يطويه دوران الأيام ولا تنسيه الـدهور والأعـوام)[١٤٧]، وكذلك هو القرآن الكريم لا يمكن فصله عن الحياة في كل جزئياتها.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة:

من خلال هذه الرحلة القرآنية الحسينية، وبين الجانب النظري والواقع العملي، أضع بـين يـدي القارئ الكريم أهم نتائجها، وهي كالآتي:

- إن القيم القرآنية، ليسـت شـكلاً فارغـاً أو إطاراً من الشعائر والأقوال التي تتردد آليـاً على الألسن، بل هي قبل كل شـئ سـلوك عملي في الحياة، والحريص حقاً على القـيم الروحية ليس ذلك الذي يردد ألفاظاً أو يؤدي طقوساً، بل هو ذلك الذي يثبت بسلوكه فـي الحياة أنه يتخذ لنفسه هدفاً رفيعاً، ويضـمن من أجل ذلك تحقيقه بكل ما يملكه.
- أوضح القرآن الحكيم إن رسـالات الأنبيـاء ومناهج الرسل (ع) جـاءت كلهـا للبنـاء الفكري، ورسم منهاج الإعداد وتربية الذات الإنسانية.
- إن الرقابة الداخلية لا يمكـن أن تتحقـق إلا عن طريق الأثر القرآني في النفس البشرية،

وليس من شأن القيم والمفاهيم المجـردة ان يكون لها أثر.

- جسّد الإمام الحسين(ع) الأنموذج الأكمل في ريادة تمثّل قيم السـماء، ومبـادئ القـرآن الكريم في المسـتوى التطبيقـي لنظريـات القرآن.
- القرآن الكـريم مـنهج متكامـل للإصـلاح والبناء، ونصوصه داعمة إلى النهوض ضد الاستبداد والطغيان.
- إن هدف الأثر القرآني هو تجسـيد معنـى الاستخلاف بتحقيق العبوديـة المطلقـة لله تعالى وإعداد المسلم إعدادا هادفا وتربيتـه تربية سامية مستمرة.
- التراث هو الذي يحمل عناصر الأصالة، ومن خلاله يتعلم الإنسان أسلوب حياتـه وأنمـاط سلوكه وقيمه وعاداته وتقاليده، فهو أصالة في المعرفة وعمق في التفكيـر، وأسـاس وطيد لكـل جديـد، وزرع الثقـة بـالنفس، والوسيلة الفعالة للتقدم والتطور.
- اتضح من نصوص القرآن الكريم إن القيمة الروحية التي يتقرب بها الإنسـان إلـى الله سبحانه هي التجسيد العملي للتقوى الفكرية والسلوكية.
- تجلى الخطاب القرآني عند الإمام الحسين(ع) قولاً وعملاً على مستوياتٍ عدة:

١- التناص المباشر مع آيات نصـرة الحـق وإزهاق الباطـل، والوقـوف إزاء الظلـم والفساد والطغيان.

٢- تمثّل مضـامين الآيـات وتجسـيدها فـي خطابات نهضوية تمثـل أقصـى مراتـب البلاغة الثورية والفصاحة الحركية.

٣- إرشاد الأمة إلى الجوانـب المعطّلـة مـن القرآن الكريم عندهم والمُهملة فيهم.

قائمة المصادر:

* خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

١. ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٢. أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧م.
٣. البخاري (ت٤٥٦هـ) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٤. الآلوسي أبو الفضل شهاب الدين(ت١٢٧٠هـ) روح المعـاني، دار إحيـاء التـراث العربـي، بيـروت، ١٩٩٩م.
٥. أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعيـة والـنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م.
٦. حاتم جاسم السعدي(الدكتور)، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (ع)، العتبـة الحسـينية المقدسـة، العراق، ٢٠١٣م.
٧. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعـة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٤هـ، ط٢.
٨. أبو السعود(ت٩٨٢هـ) محمد الحنفي، إرشاد العقل

السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
٩. الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ)، أعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩
١٠. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري(الأمم والملوك)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١١. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت).
١٢. عباس علي عميد الزنجاني، الفكر السياسي الإسلامي المبادئ والأطر العامة، تعريب: ضياء الدين الخزرجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م.
١٣. عباس محمود العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي، دار المعرفة، بيروت، (دت).
١٤. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٥. علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة، ١٩٨٨م، العدد٢٤.
١٦. الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت: ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٤، ١٣٦٥هـ.
١٧. لجنة التأليف، أعلام الهداية (الإمام الحسين)، معاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط٦، بيروت، ٢٠٠٩.
١٨. المجلسي محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
١٩. مقداد بالجن، التربية الأخلاقية والإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢٠. محمد باقر البهبودي، قال رسول الله: حسين مني وأنا من حسين، ترجمة: جعفر بهاء الدين مرزه، مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٩٨١م.
٢١. محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، دار الزهراء، بيروت، ط٦، ١٩٨٧م .
٢٢. ــــــــــ، سيبقى هذا الصوت خالداً !، مجلة النشاط الثقافي، تصدرها جمعية التحرير الثقافي في النجف، السنة الأولى، ١٩٥٧م، العدد الأول.
٢٣. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م .
٢٤. محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٥. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٦. محمد حسين الصغير (الدكتور)، الإمام الحسين(ع) عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٧. محمد رضا الجلالي، الإمام الحسين(ع) سماته وسيرته، دار المعرفة، قم ، (دت).
٢٨. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
٢٩. المفيد: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت : لإحياء التراث، قم، نشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ١٤١٣ هـ .
٣٠. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣١. نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي، القاهرة، مطبعة الخانجي، (دت).
٣٢. نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م.

الهوامش

(١) د. حاتم جاسم السعدي، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ٢٠١٣م، ص١٣. ومن هذه الدراسات: محمد فاضل الجمالي، الفلسفة التربوية في القرآن، تونس، دار الكتاب الحديث، ١٩٦٦م، ط٣، إسحاق احمد فرحان، القيم التربوية في عالم متغير من منظور إسلامي، بحث مقدم في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م، وغيرها وللتوسعة في هذه الدراسات ظ: المصدر المتقدم .

(٢) في ذلك إشارة إلى قول النبي الكريم (k): (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٠٤هـ، ط٢، ص٤٥٩.

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢.

(٤) المجلسي ، بحار الأنوار، ٢٦٢/٤٢.

(٥) علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة رسالة الخليج العربي، السنة الثامنة، ١٩٨٨م، العدد ٢٤، ص١١٠.

(٦) ينظر الباحث إلى شخصية الإمام الحسين (a) هنا على أنها شخصية إنسانية بعيداً عن التبني العقائدي الذي يرى فيه الإمام مفترض الطاعة ومعصوماً مسدداً من السماء وإن كانت هذه حقائق ثابتة لا غبار عليها .

(٧) للتوسعة ظ: خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب: فاضل الحسيني الميلاني، دار سبط النبي، قم، ٢٠٠٥م.

(٨) سورة التحريم، الآية٦.

(٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٦١٩/٦.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) الكليني، الكافي، ٤٨/٦.

(١٢) البخاري (ت٢٥٦هـ) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، ٤٦٥/١.

(١٣) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ٤٠/٣.

(١٤) سورة الصافات، الآية ٢٤.

(١٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٢٢/١٤.

(١٦) مسلم، صحيح مسلم، ١٤٥٩/٣.

(١٧) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٨٠/٢.

(18) ابن الأثير(ت٦٣٠هـ): عز الدين محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ٣٨٦/٣.

(١٩) محمد باقر الصدر، سيبقى هذا الصوت خالداً !، مجلة النشاط الثقافي، تصدرها جمعية التحرير الثقافي في النجف، السنة الأولى، ١٩٥٧م، العدد الأول، ص٤٢٩.

(٢٠) أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٤م، ص٢٠٦.

(٢١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢٦/٩٥.

(٢٢) ظ: أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٦٧.

(٢٣) ظ: مقداد بالجن، التربية الأخلاقية والإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٠٩.

(٢٤) محمد باقر الصدر، سيبقى هذا الصوت خالداً !، ص٤٢٨.

(٢٥) عبد العزيز عبد الرشيد سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية، وكالة المطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص٢٥٣.

(٢٦) ظ: محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ط١٠، ١٩٨٠م، ص٤٨.

(٢٧) ففي أرض كربلاء وفي ضراوة المعركة نلحظ أداء الصلاة وقيامها، (فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم، قال فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو ابن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى اقتل دونك إن شاء الله وأحب أن ألقي ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي فقال لهم الحصين بن تميم إنها لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت الصلاة من آل محمد (ص) لا تقبل وتقبل منك ياحمار..)، الطبري(ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، (دت)، ٤/٣٣٤، ظ: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٧٠.

(٢٨) ظ: نبيه يس، أبعاد متطورة في الفكر التربوي، القاهرة، مطبعة الخانجي، (دت)، ص١٨، علي خليل أبو العينين، منهجية البحث في التربية الإسلامية، ص١١٠.

(٢٩) سورة البقرة، الآية ١١٢.

(٣٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/٦٥٧.

(٣١) سورة طه، آية ١٣٢.

(٣٢) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٣٣) سورة طه، الآية ٤٤.

(٣٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣٥) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣٦) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(٣٧) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/٣٢٥.

(٣٨) سورة المؤمنون، الآيات ٢- ٤.

(٣٩) سورة المؤمنون، الآيات ١- ٤.

(٤٠) سورة القصص، الآية ٥٥.

(٤١) ابن منظور، لسان العرب، ١٥/٤٥٠١.

(٤٢) الراغب، المفردات، ص٤٥١.

(٤٣) ظ: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦/ ١٢٤.

(٤٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٥٩٤.

(٤٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٤٦) البيهقي، سنن البيهقي، ٣/١٧٤ رقم ٣٢٦١.

(٤٧) سورة البقرة: ١-٥ .

(٤٨) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م، ١/١٥٨

(٤٩) سورة البقرة: ١٧٧ .

50) ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت)، ٢/١٣١.

(٥١) سورة التوبة: ١١ .

(٥٢) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت)،١٠/١٧٤.

(٥٣) سورة الأعراف: ١٧٠ .

(٥٤) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٥٥) احمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان، الأردن، ١٩٩٧م، ص١٩ .

(٥٦) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٤م، ١/٧ .

(٥٧) سورة الاحقاف، الآية ١٣ .

(٥٨) محمد تقي المدرسي، تفسير من هدى القرآن، ٤/٤٢٣ .

(٥٩) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

(٦٠) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م، ٩/٣٧٧ .

(٦١) سورة هود، الآية ١١٢ .

(٦٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٣٤، ٢٠٠٤م، ٤/١٩٣١ .

(٦٣) ظ: مرتضى المطهري، الملحمة الحسينية، ص١٧٦،محمد مهدي الآصفي، في رحاب عاشوراء، ٢٦٩/١، محمد صادق الصدر، أضواء على ثورة الحسين، ص٨٤، محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص١٣٩، عباس محمود العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي – من مقدمة المحقق –، ص٢٦.

(٦٤) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الإمام الحسين، ص١٠١.

(٦٥) نفحات من سيرة أئمة أهل البيت (ع)، ص١٣٧.

(٦٦) للاطلاع على الخطبة كاملة، ينظر: المفيد(٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٩٨/٢، الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٥٩/١،

(٦٧) سورة الأعراف، ١٦٤.

(٦٨) الميزان في تفسير القرآن، ٢٥٥/٨.

(٦٩) ألمجلسي، بحار الأنوار، ١٧٨/١٤.

(٧٠) سورة الأحزاب ، ٣٣.

(٧١) سورة النساء ، ١٣٦.

(٧٢) روح المعاني، ٢٧٢/٢٢. وقد أورد الآلوسي كثير من الروايات الدالة على إن المقصود من أهل البيت هم الخمسة(ع).

(٧٣) الميزان في تفسير القرآن، ٢٦٨/١٦. وأورد السيد كثير من الروايات الدالة على إن أهل البيت هم الخمسة أصحاب الكساء.

(٧٤) سورة الأعراف ،٨٨.

(٧٥) الميزان في تفسير القرآن، ١٦٦/٨.

(٧٦) الإمام الحسين (ع) عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٩٠.

(٧٧) الترح نقيض الفرح، وترحه الأمر أي أحزنه .ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٤١٧/٢.

(٧٨) موجفين: مسرعين في السير.

(٧٩) حششتم: أوقدتم.

(٨٠) البا: مجتمعين.

(٨١) د. محمد حسين الصغير، الإمام الحسين(ع) عملاق الفكر الثوري، ص١٣٥.

(٨٢) سورة الأعراف ، ٨٩.

(٨٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٦٧/٨.

(٨٤) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م، ٦١/٣.

(٨٥) د. محمد حسين الصغير، الإمام الحسين(ع) عملاق الفكر الثوري، ص٩٠.

(٨٦) الدعي: هو المنسوب إلى غير أبيه وقد كانوا يفعلونه حتى جاء الإسلام فجعل الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقد خالف معاوية القران الكريم والسنة الشريفة بإدعائه زياد بن سمية، ظ: ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ٤٨٧/٣.

(٨٧) السلة: استلال السيوف.

(٨٨) سورة النساء ، ١٣٩.

(٨٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠٢/٥.

(٩٠) سورة آل عمران، ٢٦.

(٩١) سورة المنافقون، ٨. ومن كلام لحفيد الإمام الحسينφ الإمام جعفر الصادقφ قال: (إن الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن أموره كلّها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، الم تر قول الله سبحانه وتعالى هاهنا: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً)، للتوسعة ينظر: الكليني، الكافي، ٦٣/٥

(٩٢) أضواء على ثورة الحسين، ص١٣٢.

(٩٣) ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٦/٤٣. للتوسعة في مضامين هذا الحديث الشريف، ينظر كتاب: محمد باقر البهبودي، قال رسول الله: حسين مني وأنا من حسين،

ترجمة: جعفر بهاء الدين مرزه، مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٩٨١م.
(٩٤) سورة يونس، ٧١.
(٩٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٧٩/٦.
(٩٦) التحرير والتنوير، ١٣٧/١١.
(٩٧) سورة هود، ٥٦.
(٩٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٩٠/٦.
(٩٩) سورة نوح، ٢٨.
(١٠٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٠/١٩.
(١٠١) على سبيل المثال ينظر: سورة الروم، ١٠، سورة الإسراء، ١٦، سورة الحج، ٤٦،....
(١٠٢) سورة فاطر، ٨.
(١٠٣) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٢/١٤.
(١٠٤) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٣/٦١.
(١٠٥) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص١٠٠.
(١٠٦) ظ: الطبري، تاريخ الطبري، ٣٣١/٤.
(١٠٧) ألمجلسي، بحار الأنوار، ١٠/٤٥. قال الزهري: (ما بقي من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا،أما بالقتل أو العمى)، العلامة الحلي، منهاج الكرامة، ص٨٢.
(١٠٨) ظ: لجنة التأليف، أعلام الهداية (الإمام الحسين)، معاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط٦،بيروت، ٢٠٠٩.
(١٠٩) سورة فاطر، ٨.
(١١٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٤/١٤.
(١١١) سورة هود، ٩١.
(١١٢) سورة إبراهيم، ١٢.
(١١٣) الميزان في تفسير القرآن، ٢٨/١٢.
(١١٤) احمد جهان الفورتيه، القرآن أصل التربية، ص٦٨.
(١١٥) سورة النساء، الآية ٧٥.
(١١٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢٢٠/٥.
(١١٧) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٧٥.
(١١٨) ظ: د. محمد حسين الصغير، الإمام الحسين(ع) عملاق الفكر الثوري، ص٩١.
(١١٩) المجلسي ، بحار الانوار ، ٧٩/١٠٠ .
(١٢٠) سورة الانعام ، الآية ٩٣ .
(١٢١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٦٦/٤ .
(١٢٢) الري شهري ، ميزان الحكمة ، ٥٨٦/١ .
(١٢٣) ناصر مكارم الشيرازي، الاخلاق في القرآن ، ٨٠/٢ .
(١٢٤) محمد تقي مصباح اليزدي ، بارقة من سماء كربلاء ، ص١٢٩ .
(١٢٥) المصدر نفسه .
(١٢٦) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .
(١٢٧) مجمع البيان ، ٢٧٧/٢ .
(١٢٨) المفيد ، المقنعة ، ص٨٠٨ .
(١٢٩) محمد تقي مصباح اليزدي ، بارقة من سماء كربلاء ، ص١٣٠ .
(١٣٠) المجلسي ، بحار الانوار ، ٥٢٦/٣٢ .
(١٣١) محمد تقي مصباح اليزدي ، بارقة من سماء كربلاء ، ص١٣١ .
(١٣٢) المصدر نفسه ، ص١٣٤ .
(١٣٣) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(١٣٤) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٣٠٥/٩ .
(١٣٥) د. حسين الحاج حسن، الرسالية في الثورة الحسينية ، ص١١٩ .
(١٣٦) ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٠٩/١٦ .

(١٣٧) سورة الحجرات ، آية ١٣ .
(١٣٨) ظ : محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن ، ١٦١/٢١ .
(١٣٩) الكليني ، الكافي ، ٣٠٨/٢ .
(١٤٠) د. حاتم جاسم السعدي، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (ع)، ص٢٢.
(١٤١) محمد علي الحكيم، الفكر السياسي المعاصر للشيعة الأمامية ،ص٣٥.
(١٤٢) ظ: محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة ، ص١٣.
(١٤٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(١٤٤) هاشم معروف الحسني، من وحي الثورة الحسينية، ص٤٥.
(١٤٥) محمد مهدي الآصفي، في رحاب عاشوراء، ص٢٩٤.
(١٤٦) بقدر تتبع الباحث لم يعثر على تخريج هذا الحديث من الكتب الروائية. ظ: محمد رضا الجلالي، الإمام الحسين (ع) سماته وسيرته، دار المعرفة، قم ، (دت)، ص١٩٩.
(١٤٧) هاشم معروف الحسني، من وحي الثورة الحسينية، ص٤٣.